


جدلية العلاقة بين العروبة والإسلام من وهم تدافع الولاءات إلى حقيقة تعدد الانتماءات

أحمد حميد مخلف الدليمي

كلية دار الرضوان الإسلامية – ماليزيا

ahe_m@hotmail.com

معلومات البحث

الاستلام: 2012/1/11
القبول: 2012/2/28
النشر: 2012/4/15

ISSN: 2231-8968

الملخص

إنّ إشكالية العلاقة بين العروبة والإسلام- كانت وما تزال- من الموضوعات التي حازت على اهتمام الأوساط الثقافية والفكرية، مما جعلها مادة أساسية يتناولها الباحثون والمفكرون، من أصحاب الاتجاهات الأيدلوجية الإسلامية والعلمانية.

ونعمد في بحثنا هذا إلى رصد تلك الإشكالية مع تبني فكرة التمييز بين العروبة والإسلام بعيدا عن الترجيح والمفاضلة، اللذان يولدان التدافع بينهما، فالعروبة قومية والإسلام دين، والمقارنة بينهما بعيدة عن العلمية الدقيقة.

يتكون البحث من محورين: الفرق بين القومية والدين، فصلنا فيه القول في مفهوم الدين ومفهوم القومية لنصل بذلك إلى فهم صحيح نميز به بين العروبة وبين الإسلام، ونبين أن أي مقارنة بين العروبة والإسلام، تعد غير دقيقة كونها مقارنة بين جوهرين مختلفين في التعريف والمصطلح.

والثاني: العروبة والإسلام آليتان للدفاع والتعبئة، وفيه نتعرف إلى أصل هذه الجدلية، وسبب نشوئها وانتعاشها في حقب، وأفولها في أخر.

ثم تأتي خاتمة البحث مبينة أهم ما أضافه البحث من مفاهيم وأفكار تستدعي دراسات لاحقة تبحث في هذا الموضوع تبعا لفرضيته المذكورة.

المحور الأول: الفرق بين العروبة والإسلام

إن الباحث المتأمل في علاقة العروبة والإسلام يجد أن ليس ثمة خطر يتهدد العروبة من الإسلام، وفي الوقت نفسه فإنه ليس ثمة خطر يتهدد الإسلام من العروبة، ولكن حقيقة الخطر تكمن في التعصب الذي انتهجه المتكلمون عن العروبة والإسلام، وعلاقتهما ببعض.

إن الدراسة الموضوعية المنصفة لهذه المسائل التي يعتريها الالتباس المفتعل، تتطلب أولا تحديد مفهوم عدد من الألفاظ والمصطلحات؛ إذ لا يمكن الوقوف على شكل العلاقة وطبيعة الحوار لأي جانب من جوانب المعرفة إلا بعد تحديد المفاهيم والاتفاق على مفهومها، ومن هنا فإننا سنحاول تحديد مفهوم كل من العروبة والإسلام لنستطيع من خلال ذلك الوصول إلى تحديد شكل العلاقة وطبيعة الالتقاء بينهما.

فالعروبة: هي هوية الإنسان العربي، أي كل ما يميز العرب ويعطيهم هويتهم، والعربي من كانت لغته العربية، وعاش في الأرض العربية، وذلك ما ذهب إليه الجاحظ: ((وقد جعل إسماعيل عربيا، لأن الله فتق لهاته بالعربية المبينة، ثم حباه من طبائعهم ومنحه من أخلاقهم وطبعه على كرمهم وأنفهم وهممهم)) [1]، والعروبة تعبير عن الانتماء إلى الأمة العربية التي لها مقومات مشتركة أبرزها اللغة والتاريخ والمصير المشترك.

والعروبة بهذا المفهوم ليست مذهباً ولا فلسفة ولا فكراً، وإنما هي واقع اجتماعي ونفسي ذو جذور تاريخية، فانتماء المواطن العربي إلى عروبته وصلته بها يحدده اللغة، والتاريخ والمصير المشترك، فالقومية العربية إذن: هي الواقع التاريخي واللغوي والثقافي والجغرافي العام لقوم من الأقوام.

---

1 عمرو أبو عثمان الجاحظ، رسائل الجاحظ، طبعة حسن السندوبي، مصر، د.ت، ص168. ويقرب من ذلك ما أورده (الجاحظ) في (البيان والتبيين) حول هذا المفهوم، طبعة إحياء التراث العربي، مصر، 1939، 6/4.

أما الإسلام، فيُعرَّف لُغة بأنه: الاستسلامُ والانقيادُ، يُقالُ فلانٌ مُسلمٌ أي: مُستَسلمٌ لأمرِ الله[2].

واصطلاحا: هو الدين الذي أنزل على محمد ρ، وهو عقيدة وشريعة وأخلاق [3].

فالإسلام: هو الانقياد التام لأمر الآمر و نهيه بلا اعتراض، وقيل هو الإذعان والانقياد وترك التمرّد والإباء لعناد[4].

والصلة بين العروبة والإسلام صلة قوية مترابطة ذلك أن ((القرآن الكريم نزل بلغة العرب على أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه)) [5]. وبما أن ((اللغة أوضح الطرق لفهم إنسانها)) [6]، وكونها ظاهرة اجتماعية تتوافر فيها جميع خصائص الظواهر الاجتماعية الأخرى، وتتأثر بجميع ظواهر الحياة الاجتماعية، كما تؤثر في هذه الظواهر، فأن لغة القرآن تعد أوضح الطرق وأفضلها لمعرفة المستوى الثقافي والاجتماعي الذي بلغه العرب عند نزول القرآن الكريم.

ومن البديهي أن في هذا يوثق صلة العرب بالإسلام واعتزازهم به، فعلاوة على أن القرآن دستور لحياة المسلمين من غير العرب، فهو دستور لحياة المسلمين العرب، وشاهد رقي تراثهم الأدبي، وحافظ لمراحل مهمة من تاريخهم.

اصطفى الله العرب لحمل رسالة الإسلام وفقا لعوامل متعددة، منها سلامة لسانهم، ومن هنا فمن فضل الإسلام أنه جعل للعرب ذكرا بين العالمين، يقول تعالى:﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(الأنبياء 10)

فكانت صلة العرب بالقرآن– فضلا عن كونه كتاب الله– في حفظه لتراثهم ولغتهم[7]، وكذلك فصلة الإسلام بالعربية: أن الإسلام لا يُفْهم إلّا باللسان العربي ذلك ((إن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي وجعل رسوله مبلِّغاً عنه

2 انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (سلم) 293/12.

3 محمد رواس قلعه جي، وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، ط2، 1988 م، ص68.

4 أبو حامد الغزالي، قواعد العقائد، تقديم رضوان السيد، دار إقرأ للنشر والتوزيع 1983، ص236.

5 عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط4, ص438.

6 محمد مندور، اللغة والحضارة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1974, ص29.

7 حتى إن كثيرا من الأدباء والمثقفين العرب من غير المسلمين كانوا يحفظون القرآن ليستفيدوا من أسلوبه، ويتعلموا منهجه في التأثير والإقناع. انظر: أحمد أمين، الإسلام كعامل في المدنية، مجلة الرسالة، س4، ع146 / 1936م.

الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن هناك سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلّا بضبط هذا اللسان[8])).

فهذه حقيقة صلة الإسلام بالعروبة، من حيث أن الله تبارك وتعالى اختار العرب لحمل لواء الدين ونشره، واختار اللسان العربي للقرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين، في الوقت نفسه فإن الإسلام هو باني حضارة العرب ورافع ذكرهم بين العالمين، فضلا عن كونه موحد فرقتهم، وجامع شتاتهم، فجعلهم أمة واحدة لها مقوماتها للنمو والتطور، بعد أن كانوا قبائل لا يجمعهم كيان ولا يوحدهم مذهب.

وصلة الإسلام بالعروبة لا يمكن عدها –بأي شكل من الأشكال– علاقة تدافع في الانتماء أو الهوية، وذلك لاختلاف الانتماءين في المفهوم والجوهر.

فالإسلام علاقة انتماء إلى دين سماوي. يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً﴾ (المائدة 3).

والعروبة علاقة انتماء إلى أمة، بشطري تكوينها: الشعب والأرض، وما أثمر شطراها على مدى التاريخ.

وهكذا يستطيع أي إنسان مميز –غير مكره– أن يختار الإسلام ديناً، أو أن يختار دينا غيره، أما العروبة فعلاقة انتماء إلى وضع تاريخي تدرك العربي منذ مولده وتصاحبه حتى وفاته ولو لم يكن مميزا ولو لم يدركها.

وكذلك فالإسلام علاقة انتماء إلى دين خالد في الزمان بحكم إنه خاتم الرسالات والأديان السماوية، أما العروبة فعلاقة انتماء مقصورة على شعب معين من الشعوب ومكان معين من الأرض، فهي علاقة انتماء إلى أمة تكونت خلال مرحلة تاريخية طويلة، استجابة موضوعية لحتمية تقدم الشعوب ونموها.

لا مجال إذن، للخلط بين علاقة الانتماء إلى العروبة وعلاقة الانتماء إلى الإسلام، وما تزال علاقة الانتماء إلى الأسرة أو إلى القرية أو إلى المهنة قائمة بجوار علاقة الانتماء إلى الدولة أو إلى الوطن. ومن هذا نفهم أن الإسلام

---

8 عبد المنعم خلاف، اللغة العربية ذلك الكائن الحي، مكتبة وهبة، 1972م، ص54.

والعروبة لا يقبلان التفاضل والترجيح، لاختلاف مفهومها، فالترجيح يكون بين دينين أو قوميتين، ولا يكون بين دين وقومية.

ثانيا–فكرة القومية العربية

من البديهي القول: إن الله تعالى اختار العرب لحمل رسالة الإسلام بناء على ما يتمتعون به من المواهب والقدرات العقلية التي تحتاجها عملية حمل الرسالة وتأديتها، ولعل أبرز الأدلة على قوة العقلية العربية تلك اللغة التي جعلها الله وعاءً للقرآن الكريم مما يدل على نضج فكري ورقي عقلي، أهّلها لاحتواء أساليب القرآن الكريم وأغراضه المتعددة، من تشريعات ونظم وقصص وأمثال وغيرها، الأمر الذي جعلهم مؤهلين للإيمان به وفهم أحكامه ومستعدين للدفاع عنه وقادرين على نشره، كما أثبتت الوقائع التاريخية اللاحقة لظهوره[9].

وهذه التجربة التاريخيّة الفريدة التي حبا الله بها العرب –ولغتهم وأرضهم– تثبت أنّ الأمة العربيّة التي كانت تسكن الجزيرة العربية، محصنة أكثر ضد عوامل الانحراف والانحلال، ومن هنا استحقت بجدارة أن تحمل رسالة الإسلام، وتتحمل أمانة التبليغ.[10]، قال تعالى:﴿ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام 124)

لكن في الوقت نفسه فإن هذه الأمة العربية الحديثة لم تتكون إلّا بفضل الإسلام، ولم يكن لها وجود أو شأن قبله، جاء الإسلام فأوجد إيجاداً الأمة العربية الحديثة، فكان هو شهادة ميلادها ونقطة انطلاقها، وهو الذي حررها من التبعية ومنحها الحرية والاستقلال، ومحا كل فروق اللغة والجنس التي كانت تفرق بين مكوناتها، مما مكّنها للقيام برسالة إنسانية عالمية عظمى.

وعليه فقد استبعد الإسلام النزعة القومية وخاصة عندما تصدر من العرب، وجعلها صفة ذميمة، كما أمر الرسول محمد > بنبذها:((دعوها (أي العصبية) فإنها منتنة)) [11]، وكذلك في قوله: ((لينتهين أقوام يفخرون بآبائهم الذين

---

9 انظر: عبد الستار إبراهيم الهيتي، الحوار.. الذات، والآخر، سلسلة كتاب الأمة (99)، ص45.

10 راجع هذه الفكرة في كتاب: بسام جرّار، الفكر العربي الإسلامي، مركز نون– فلسطين، ط1 2004م 32/1.

11 محمد بن حبيب الله، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، 196/1، مؤسسة الحلبي – القاهرة، د.ت.

ماتوا، إنما هم أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه. إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي..)) [12].

ولقد أثبتت القومية إفلاسها على أرض الواقع، ولو تتبعنا التاريخ لوجدنا أدلة كثيرة على فشل الفكر القومي بصفته سبيلا للتعايش الاجتماعي، فقد قدمت القومية البريطانية نفسها بسفك دم أفضل مفكر نصراني في بريطانيا وهو (توماس مور[13]) الذي رفض أن يوافق الملك (هنري الثامن) على فصل كنيسة إنجلترا من البابوية.

وضحّت القومية الفرنسية –التي أبرزتها الثورة الفرنسية– بالجماهير التي كانت وقودها وجندها لحساب مصالح البرجوازية الصاعدة، ((كما يمكن أن تعرف ذلك من مطالعة بيان حقوق الإنسان والمواطن، وكذلك قانون نابليون الذي بلور مصلحة الطبقة البورجوازية على حساب مصالح العمال))[14].

وهكذا فإن القومية لم تحقق مطالب الجماهير، ولا آمال الفلاسفة على اختلاف الثقافات والحضارات، وكانت في الحقيقة صنيعة السياسيين وأداة البرجوازية.

وقد يوضح ذلك على الصعيد العربي فإنه رغم ذلك الحديث الطويل العريض عن القومية العربية والوطن العربي، إلا إننا نجد كل دولة عربية متمسكة بجنسيتها الخاصة، وبنوع من القيود والعقبات تفرض على المواطن العربي الذي يسكن خارج أراضيها.

وهذه العقبات والفروق إنما كانت وليدة النظام القومي والذي هو نفسه كان نتيجة حتمية من نتائج الاستعمار وتقسيماته الجغرافية، بينما نلاحظ في الحقبة التي سبقت ذلك، ولاسيما حقبة الخلافة الإسلامية، منذ الخلافة الراشدة حتى نهاية الخلافة العثمانية، كان طالب العلم والتاجر والحاج يخترق العالم الإسلامي شرقاً وغرباً شمالاً وجنوبا، لا يجد حظراً أو قيداً.

وفي الحقبة التي تلت سقوط نظام الخلافة العثمانية، وقبيل استشراء النظام القومي، لاحظ أحد الكتّاب أن حكومة الملك عبد العزيز آل سعود[15] الأولى ضمت بين الوزراء: عبد الله الدملوجي (عراقي)، وفؤاد حمزة (فلسطيني)، وحافظ وهبه (مصري)، ويوسف ياسين (سوري)، ورشدي ملحمي (فلسطيني)، وخالد الكركني (ليبي). وكان ثلثا

12 سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، 719/6.

13 قديس وفيلسوف وسياسي إنكليزي، اشتهر بكتابه (المدينة الفاضلة)، ولد سنة (1478) وتوفي (1535) م.

14 انظر: إرنست ماندل، مدخل إلى الاشتراكية العلمية، ترجمة: غسان ماجد وكميل داغر، مكتبة تللسقف، 1980، ص54.

15 الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود (1873–1953)، مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة.

الوزراء في السنوات العشر الأولى في شرق الأردن من خارجها، أما رؤساء وزارتها فكانوا كلهم من خارجها من سوريا وفلسطين، أما موظفو الحكومة فقد ظل ثلثهم من خارج الإمارة إلى أكثر من عشرين سنة[16].

كما هو معلوم فإن الوحدة الإسلامية لن تتم الّا بوحدة أجزائها الرئيسة مما يستدعي قيام الوحدة العربية على نهج إسلامي ممهد للوحدة الإسلامية، و إن معرفة أجزاء الأمة ليس عصبية ولكنها فهم للمسؤوليات التي تقع على كل جزء، و بالتالي نجد أن العلاقة بين العروبة والإسلام علاقة عضوية مترابطة لا يمكن فضها أو فصلها بأي صورة كانت، وأن فصلها هو أسمى أمنيات أعداء الإسلام، وأن وحدة الأمة الإسلامية تتطلب وجود وعي يدرك مفهوم القومية الوحدوية ويرفض الاعتراف بالتجزئة من الأساس، ويحقق الوحدة العربية على أساس الوحدة الإسلامية.

وبناء على ما سبق من توضيح، فإنه لا تناقض بين القومية والدين، إذا وضع كل منها في موضعه الصحيح، وفق الفهم والمنهج الإسلامي، وبعد أن يتبصر الباحث المنصف في حقيقة تلك العلاقة الودية التكاملية بين الإسلام والعروبة –خصوصا– وبين الدين والقومية –عموما– يخلص إلى ((أن المسلم الحق هو الوطني المخلص، وهو القومي المناضل، وهو العالمي الأصيل، وقد أثبت التاريخ المعاصر أن أبطال الوطنية في بلادنا العربية والإسلامية كانوا إسلاميين، أمثال: الأمير عبد القادر في الجزائر، وأحمد عرابي في مصر، وعمر المختار في ليبيا، وعبد الكريم الخطابي في المغرب، وأمين الحسيني في فلسطين، والشيخ ضاري المحمود في العراق، ومحمد ناصر في اندونيسيا، وأبو الكلام آزاد في الهند، وأبو الأعلى المودودي في باكستان،...وغيرهم الكثير، مما يثبت أنه لا يوجد تقاطع كبير بين الخصوصية القومية أو الوطنية، وبين الالتقاء تحت مظلة الإسلام باعتباره الوطن الأكبر لأبناء الأمة)) [17].

المحور الثاني: العروبة والإسلام، آليتان للدفاع والتعبئة

لطالما كانت علاقة العروبة والإسلام إشكالية يكثر الجدل حولها في ميزان المفاضلة والترجيح، وفي استحضار أولوية الولاء والشعور بالانتماء والتعبير عن الهوية، وغالبا ما كانت تطرح هذه الإشكالية ضمن قضايا الفكر المعاصر، بصيغة السؤال المثير للجدل: ما هو الأساس في تحديد هوية الفرد العربي؟ الدين (الإسلام) أم القومية (العروبة)؟.

16 جلال كشك، القومية والغزو الفكري، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط2،1970، ص39.
17 عبد الستار إبراهيم الهيتي، الحوار.. الذات، والآخر، ص47.

تعمقت هذه الفكرة لدى أجيال كثيرة ولعقود طويلة، وأثير حولها كثير من الجدل، وتنافس في طرحها القوميون والإسلاميون، وتوسعت أطرافها بين تعصب الفكر القومي، وتشدد من كتبوا فيها من أهل الفكر الإسلامي، وكان كل منهما ينطلق من خلفيات فكرية (أيديولوجية) بالدرجة الأولى، وكل منهما يستطيع أن يدعّم آراءه بسيل من الأدلة والوقائع والنصوص.

ومجمل الطرح البحثي لكلا الفريقين كان يتمحور حول طرحين[18]:

الأول: ينفي أن تكون هناك أي صلة أو ترابط بين القومية والدين، بل يضعهما كطرفي نقيض، وفيه يلتقي الرافضون لسيادة الفكر الديني-بحجة رجعيته وجموده- بالرافضين لفكرة القومية، وإنكار أي رابطة تحل محل رابطة الدين.

والآخر: الموقف التوفيقي الذي يحسب أنه لا تعارض بين الإسلام والعروبة، فهما نبتتان لبيئة تاريخية واجتماعية وفكرية واحدة، وهذا الموقف نابع من اتجاهات فكرية سياسية، تساوى فيها كلٌ من الحريصين على الوحدة، من أصحاب التيارات القومية أو الوطنية، والتيارات الإسلامية الإصلاحية على حد سواء، بفارق أن كلاً منهما يعطي أرجحية في هذه العلاقة لمنطلقه الأساسي.

في وسط تلك المواقف والآراء حاول كثير من المفكرين والباحثين القوميين والإسلاميين أن يسلكوا منهج البحث الأكاديمي، في محاولة منهم لتقصي حقيقة هذا الموضوع، فتراكم العديد من هذه الأبحاث مما يصنّف في دائرة الجهد الإيجابي الذي قد يوصل إلى حقائق أقرب للعلمية والموضوعية، بعيدا عن الصيحات المتعالية التي تدّعي أن علاقة العروبة والإسلام، علاقة إثبات هوية المجتمع وانتمائه إلى أحدهما، وكأن محور الإشكالية في محددات الهوية، هل هي عربية أم إسلامية؟.

وبحثنا هذا يميل إلى أن نواة الجدل في تحديد الهوية، استندت إلى سؤال وهمي مفتعل، فإشكالية العروبة والإسلام لم تطرح ضمن نقاش أو صراع الهوية بين الدائرتين (الإسلامية والقومية)، وإنما افتعلت لتكون آلية للدفاع عن الذات.

---

18 انظر: حسن غريب، في سبيل علاقة سليمة بين العروبة والإسلام، دار الطليعة-بيروت، ط2، 2000، ص15.

القضية برمتها نتاج سياسي، لا علاقة له بالهوية، ولا يمت إلى واقع تدافع الانتماء بصلة، ويمكن وضعه ضمن آليات التعبئة الشعبية التي تستنفر في الحالات الطارئة، وعليه يمكن أن نعيد صياغة السؤال الذي أثار القضية بأن نسأل: من نحرك في وجه الغزو الخارجي، هل نحرك آلية الإسلام أم آلية العروبة؟... ((وقد تحولت هذه الآلية– بقصد أو بغير قصد– إلى سؤال هوية، إذ أصبح شعار الإسلام وشعار العروبة يتزاحمان، لا كشعارين متناقضين مع بعضهما البعض في علاقة تضاد، بل تعبيرا عن نوعين من رد الفعل الموجه ضد الآخر))[19] .

إن مفهوم العروبة الحديث الذي تطور في التاريخ العربي الحديث وتبلور في الفكر العربي الحديث والمعاصر، يختلف عن مفهوم العروبة كما فهم في التاريخ والفكر والإسلامي.

فالعروبة في الفكر الحديث لا تعني التقسيمات القديمة لعرب بائدة وعرب مستعربة وغيرها، كما كان سائدا في التراث العربي والإسلامي، بل أن مفهوم العروبة في الفكر العربي الحديث تم إعادة إنتاجه من جديد على ضوء العلاقة مع الآخر، والآخر هنا يختلف من مرحلة لأخرى حسب التهديد المرحلي.

تعددت استخدامات الآليتين حسب الحاجة، والأمثلة كثيرة، فعن استخدام آلية العروبة نورد على سبيل الذكر: عند بدايات انبثاق المصطلح العروبي الحديث كان (الآخر) يقصد به (العثمانيون) في زمن كانوا يحكمون فيه البلاد العربية، فاستغلت آلية العروبة للثورة ضد (الأتراك).

في مرحلة أخرى يكون الآخر مقصود به الفرس، كما في مرحلة الحرب العراقية الإيرانية، حيث كانت التعبئة ضد (العجم)، وكان العراق (حامي البوابة الشرقية للأمة العربية)، ففي هذين المثالين استخدمت آلية العروبة لتعبئة الشعوب العربية واستنفارها وتحفيز رابط الانتماء القومي فيهم ضد الآخر الذي استوجب تسميته هنا بالأجنبي، أو أي تسمية مرادفة تدل على عدم عروبته، إذ تعذر استخدام آلية الدين لكون الآخر هنا مسلم.

وكذلك في استخدام آلية الإسلام، فعندما تعرضت البلاد العربية لاستعمار أجنبي لا إسلامي، تعاملت معه الأدبيات العربية والإسلامية بصفته غزوا صليبيا، إذ أن هذا الغزو استوجب ردا إسلاميا يدعم الرد العربي، وذلك تماشيا مع وضع المرحلة وشراسة الغزو الذي احتاج تكافلا تعبويا عربيا إسلاميا.

19انظر: نيفين أبو رحمون، العروبة أم الإسلام؟ بين جدلية الهوية والدفاع عنها (مقالة) مجلة المسيرة الإلكترونية، في 4/27/ 2005.

فكانت مقاومة المحتل تعد جهادا، وأكثر قادة المقاومة هم شخصيات إسلامية، فهذه المرحلة استدعت استخدام آلية الإسلام ضد الآخر الصليبي، ومثل ذلك التعبئة ضد الاحتلال الصهيوني اليهودي لفلسطين وما فيها من مقدسات إسلامية.

والنتيجة أن هذه الآليات تستخدم من قبل المؤسسات المؤثرة (الإعلام الرسمي للدولة- المساجد- النتاج الأدبي- المراكز الثقافية..) لتعبئة الجماهير وتحفيز الآلية الفعّالة فيهم مع الظرف الطارئ، وبعد زوال هذا الظرف تستقر هذه الأدبيات في العقل الجمعي للمجتمع لتتطور إلى اتجاهات فكرية (أيديولوجية) تتباناها جهات معينة لتدعيم أفكارها واتجاهاتها، ونظرا لتنوع الآليات(العروبة والإسلام) تنوعت الاتجاهات الفكرية الناتجة عنها، فنتج ذلك الجدل المفتعل عن العلاقة بين العروبة والإسلام.

الخاتمة

ونخلص مما سبق إلى أن العروبة والإسلام آليتان لتعبئة الشعوب، وتهيئتها نفسيا وفكريا لمواجهة تهديد مرحلي معين، وأنهما -أي الإسلام والعروبة- بعيدان عن المفاضلة والترجيح والتدافع، لأنهما مختلفان في المفهوم والدلالة والحقل الدراسي، ويشتركان في صفة الانتماء التي تقبل التعدد دون التدافع، فالانتماء للدين والمذهب والفكر والحزب والمدينة والجنس والعرق... إلخ.

مصادر البحث

- إرنست ماندل، مدخل إلى الاشتراكية العلمية، ترجمة: غسان ماجد، مكتبة تللسقف، 1980م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، مكتبة المعارف، 1988م.
- بسام جرّار، الفكر العربي الإسلامي، مركز نون- فلسطين، ط1 2004م.
- الجاحظ، عمرو أبو عثمان، رسائل الجاحظ، طبعة حسن السندوبي، مصر، د.ت.
- الجاحظ، عمرو أبو عثمان، البيان والتبيين، إحياء التراث العربي، مصر، 1939م.
- جلال كشك، القومية والغزو الفكري، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط2،1970م.
- حسن غريب، في سبيل علاقة سليمة بين العروبة والإسلام، دار الطليعة-بيروت، ط2، 2000م.
- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي, بيروت، ط4، 1982م.
- عبد المنعم خلاف، اللغة العربية ذلك الكائن الحي، مكتبة وهبة، 1972م.
- عبد الستار إبراهيم الهيتي، الحوار.. الذات، والآخر، سلسلة كتاب الأمة (99).
- الغزالي، أبو حامد، قواعد العقائد، تقديم رضوان السيد، دار إقرأ للنشر والتوزيع 1983م.
- محمد رواس قلعه جي، وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، ط2، 1988م.
- محمد مندور، اللغة والحضارة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1974م.
- محمد بن حبيب الله، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، مؤسسة الحلبي – القاهرة، د.ت.